

# TEMPO RUBATO

## فيما يتعلق بملابس الملك الجديدة

تصوّروا جهازي مسح، وجهاهما مقابل بعضهما يقومان بالعمل الوحيد الذي يُجيدانه: يمسخان، الواحد الآخر. يندفعان في رقصة عشق كلها توتر وإغواء. واحد ينتصب، والثاني ينحني، ينحنيان معاً، ينتصبان معاً، يتبادلان المواد. يقومان بجماع خطابي. كانت سونتاج ادعت أن التصوير "هو طريقة غير ناجحة البتة للعلاقة الجنسية"<sup>1</sup>. لأن الكاميرة تكرّس بُعداً أزلياً بين المُخترق وبين المُخترق. جهازا المسح لدى أساف شاحم لن يحسباً بعضهما أبداً. ستظلّ بينهما إلى الأبد مسافة لمسة. إلا أن تاريخ هذا الجماع العاقر، وعكس المتوقع، خصب جداً: سلالة من النسل، أبناء ممتازون لسلالة رسمية. أحفاد لمونديان وأبناء أخ لروثكو (أبناء وليد بشتي المتنبون). حقول من الألوان التكنولوجية حتى النهاية. مصباح البرج المصفرّ والمشعّ، حلّ محلّه خطّ النور الاعتباطي والناصع البياض لجهاز المسح. أما أوراق التصوير الكيماوية فقد استُبدلت برشّ الحبر المحكم، وغرفة الظلام حلّ محلّها التمثيل.

بين المسافة قبل الفاصلة وتلك التي بعدها، بين موت الملك وبين بداية حكم وريثه، تقع أعمال شاحم في مدى الاحتمال بين ميديوم وآخر، يتم قتله مرة تلو أخرى. بعد أن احتضر ومات وولد من جديد وسقط وتعفن من داخله، وقام من جديد، وانتصب على رجليه الخلفيتين.

على أحد الجدران شدّت بكامل روعتها الواقعية نسخة هائلة من غلاف أوراق التصوير من إنتاج إيلفورد. نسخة ساحرة ذات حضور ثلاثي الأبعاد تم تمويهه بتحويل التمثيل في وسطها. الصدفّة البيضاء تحولت إلى مشهد اغتصاب تصويري.<sup>2</sup>

في عمل آخر، أصغر، تكاد ظلال الإشعاع أن تنتسرب لحظة إلقاء تلك القنبلة على هيروشيما. ملاحظة هامش مسوّدة بنقطة بارزة للتاريخ الممتدّ للقوة والعنف. في لحظة الصفر حفر الإشعاع الأمريكي ذاكرة لا تموت. (ذاك المصور التقط التمثيل الذي أنتجته القنبلة، وهذا المصور يعرض التمثيل الذي أنتجه المصور الأول). مات المصور الأول فليحيا المصور الثاني.

شاحم، ومثله كثيرون من أبناء هذا الجيل في التصوير، يعملون كنرجسيين معطوبين. فهو ينظر من عدسته، وفي لحظة يقع في الحب. عندها، يتغيّر كل شيء. لدى إمعانه النظر سيكتشف تمثيلات مُنهكة يعكس الواحد تلو الآخر منها المطاردة الجمالية وراء الجمال والتراجع عنه، رفض خطاب التصوير وقبوله. ويتذكر: "عائلة الإنسانية" لستابنخ، يرى "بيينغ توم" لباول، يقرأ هناك "علامات اللامبالاة" لجف وول، ويتعرّف على الفوتوغراموت لموهولي ناج. ويتعرف لبعض الوقت على شخصية دوشان الذي لا يبقى شيء بعده كما كان، ويبدو له أنه تحت سطح الماء يسمعه يقول <sup>3</sup> déjà-lu .

كل هذه الأشياء، النقاط اللانهائية لـ "سلاف - رفرنس" تتحول في لحظة إلى نحو مرئي لدى شاحم. هوة غير قابلة للجسر تطلّ مفتوحة للتأويل، كالموسيقى التي تأتي من غرفة مجاورة أو تنبعث من سماعتين لم تغلقان على الأذن فتتركان زنزنة ذبابة خافتة في الغرفة. إنه أرجوحة اللغة، إنه الفراغ المفتوح بين لحظة إنتاج التمثيل وبين

<sup>1</sup> سونتاج سوزان، التصوير في مرآة المرحلة، في مغارة أفلاطون، 1977.

<sup>2</sup> من يتساريم، ميخائيل أنجلو 1966.

<sup>3</sup> يضع دوشان المصطلح الذي يصف شيئاً تم تعلمه أو قراءته الذي يحظى بإعادة التفكير فيه.

# TEMPO RUBATO

استهلاكه أو تلقيه.

"دا كينغ إز ديد، لونغ ليف دا كينغ" - يُستدلّ من فحص سريع أن هناك أكثر من صيغة مكتوبة لهذا القول (والأصل بالفرنسية). أحياناً، تكون إشارة الفصل فيه فاصلة أو خط وسطي أو نقطة، ومهما تكن هذه الإشارة - ليس في القول أسي أو فراق، لا تكيف ولا مرحلة انتقالية. يعرف شاحم أن عليه تسمية ملك جديد فيخيط له بدلات احتياطية، على مقاساته، لئلا يظهر مكشوفاً على مرأى من الناس.

ولكن بينما هو يحفر أو ينتقص من سيماء شخصياته ويترك غلاف كتابه كجرن مفتوح، يعرف في هذه اللحظة، أن الملابس الأكثر ملاءمة للملك هي عربي.

يُنير براك 2012